زيتون

سياسية ثقافية نصف شهرية مستقلة
السنة الثالثة | 15 تشرين الثاني 2015

العدد
119

www.facebook.com/ZaitonMagazine | zaiton.mag@gmail.com | www.zaitonmag.com

خبز سراقب بين ضعف الجودة وعدم الاكتفاء

موسم جديد للزيتون في ادلب
ومعاناة المزارعين مستمرة

هل هناك عزوف عن الزواج بين الشباب؟ 2

أطفال ادلب بعيداً عن الحرب 9

كفروما... ثورة مبكرة وواقع خدمي متردي 12

هل هناك عزوف عن الزواج بين الشباب؟

عبد الكريم أنيس

قد يبدو السؤال المطروح غير مناسب للطرح في زمن الثورة السورية والابتلاءات والمحن الشديدة التي ابتلي بها المجتمع السوري، فمع تزايد شدة الفواجع والأحزان ومراقبة قوافل الشباب التي تذهب ضحايا القصف والاعتداءات، التي تفننت عصابة الأسد بإذاقتها للمجتمع السوري جراء استخدام كافة أنواع الأسلحة الثقيلة بل والمحرمة دولياً، وتسليطها على المدنيين الذين خرجت مناطقهم من سيطرة نفوذها، يبدو مثل هذا السؤال في غير وقته.

كثيرون يعتبرون أن للزواج خصوصية، ينبغي أن تتجه الأوضاع المحيطة نحو الاستقرار، حتى يتم مثل هذا المشروع الحيوي والهام، وليحقق الديمومة المطلوبة له كمشروع مستمر لتأسيس خلية الأسرة كلبنة أولى لتدعيم المجتمع، لما كان يسمى حتى عهد قريب "فرحة العمر" في حياة الشباب لتتواصل رسالة الحياة بالاستمرار.

طالما ارتبط الزواج باستقرار العمل وديمومته وتوفير السكن اللائق كمعايير لأمن اقتصادي للمستقبل في سوريا، كما في المحيط العربي، يطلب الزواج باكراً كوقاء سريع، فلا يقع الشباب بمطبات الانجراف بمهاوي الانحراف، ففي البيئات العربية المحافظة والتي تعتبر أي اخلال أخلاقي من شبابها، أو شاباتها خصيصاً، أمراً مشيناً، يمس بشرف العائلة وسمعتها، يكون الاحتياط بالتبكير بتزويج الفتاة والشاب أمراً مقدّراً ومدبراً بطريقة تقليدية في المجتمع السوري عموماً.

مع أن هناك الكثير من المؤشرات التي تجعل الزواج في الحالة الراهنة أمراً بات تحقيقه أقل صعوبة من الأوضاع السابقة في المجتمع السوري والتي أوصلت المجتمع لحالة من النفور لكثرة المغالاة والتكلف والابتذال في تكاليف ومتطلبات الأعراس، فإن فئة كبيرة من الشباب لا تزال تجد الواقع مختلفاً عن التسهيلات المخففة التي يبديها بعض أولياء الأمور لقاء تزويج أولادهم(بنيناً وبناتاً) ويقولون أن التفاصيل هي الطامة الكبرى، وليست مجرد كلام يطلق بدون حساب، من قبيل أن الأهل يقبلون من يتقدم لابنتهم من ذوي الأخلاق، ولكن ذوي الأخلاق هذا، ينبغي أن يكون ممن لديهم كل السمات المطلوبة، ليكون هذا الطالب للقرب مقبولا من أي عائلة كانت بدون تحفظ، وبدون أي "تسهيلات" فقدت كل مضامينها، يختصرها أحد الشباب الذين هم في سن يمكنهم من الزواج بالقول:

"يقولون لك أنهم لا يريدون سوى ابن الحلال وعندما يتقدم هذا الابن الحلال يطلبون منه كل شيء، هذا المجتمع بغالبيته لازال يقول ويصرح ما لا يفعل على أرض الواقع فعلا"

تستغرب وبشدة إحدى السيدات أنه ونظراً للظروف الراهنة ولدى طلبها يد فتاة لابنها الشاب الجامعي وعند مناقشة التفاصيل تتكبّر عليها حماة ابنها المستقبلية أنهم من النازحين الذين قدموا من منطقة ثرية وأن عليهم أن يراعوا "برستيجهم" السابق وأنهم لا يستطيعون اتمام الفكرة مالم يتم منح ما وهب لابنتهم الأولى التي تزوجت قبل فترة الثورة لابنتهم الثانية، وأن الظروف الحالية لا تعني أن "نكسر" بخاطر الأخت الثانية، وبرّمت شفتيها، لتذكرها أن الدنيا لا تزال" مقامات" كناية عن تذكيرها بوضعها الاجتماعي السابق، وأن كون العائلتين باتتا حالياً من النازحين لا يعني أن تسقط الشكليات الاجتماعية جملة وتفصيلاً!!

منذ أمد طويل، ارتبط الزواج

بالمقدرة الجسدية لكلا الطرفين، الزوج بشكل أوسع والزوجة بشكل أقل، فلا تزال هناك نسب مرتفعة من بين الزوجات التي تقوم على تزويج الفتاة قبل بلوغها سن الثامنة عشرة، ولوحظ ازدياد هذه الحالة للتقليل من الأعباء المادية التي باتت تشكل حملا ثقيلا مع التردي الفظيع للأوضاع المادية للمواطنين، حتى الميسورين منهم، جراء توقف الأعمال بغالبية أشكالها وبالتالي اعتماد المواطنين على السلل الغذائية الممنوحة لهم من قبل الجمعيات الخيرية وطبعاً كلما قلّ عدد الأفراد تزداد الحصة لكل شخص.

فتح موجات التهجير التي طالت السوريين في عديد من المدن السورية باب الحرية الجنسية والمساكنة، ففي ظل انفراط القيود الاقتصادية، التي كانت قيداً يمتلكه الأهل، وبعد أن توفرت حيزات للعمل في دول تقع خارج الأراض السورية، تمنح لكثير من هؤلاء فرص عمل، ومقدرة على العيش، بعيداً عن سلطة الأهل وجبرياتهم التعسفية باختيار مستقبل أطفالهم الذين كبروا، وبالتالي أصبح موضوع الزواج التقليدي مسرحاً ليكسر عبره بعض الشباب مفاهيماً تنزل بمرتبة القداسة، وكان هؤلاء يحاولون وبجهل غالباً الثورة على المجتمع عبر انكار مشروعية مثل هذا الرباط المقدس، وجعله شأناً ثانوياً، وأصبح هناك أحاديث عن تجارب سابقة للعلاقة الزوجية، بقصد تثبيتها في مرحلة أخرى، أو حتى يلتقي طرفان يعتقدان أنهما قادران وبملء ارادتهما للبقاء معاً برباط شرعي يكفل اعترافاً اجتماعياً شرعياً بهما وبأطفالهما.

البعض اعتبر سقوط النظام السوري وانتصار الثورة بداية لمرحلة جديدة يريد معها فجراً جديداً لحياته وفرحاً سيتوج حياته بالإصلاح الاجتماعي الذي طال أمد انتظاره، سيحتفل فيه بوأد الجهل ويستعيد حالة من الوعي المغيّب، واعتبر الثورة خطوة صغيرة ستقوم بإحداث موجة كبيرة من الوعي ضمن مجتمع متهالك أضرت به كثرة التقاليد والابتعاد عن المقاصد الفقهية للأحكام الشرعية وتطويعها وفق مبدأ السائد في المجتمع لأنها تعاكس تماماً الوصايا الرسولية، فمن المعروف أن مهر العروس والمغالاة فيه يعطل القاعدة الشرعية بالتيسير بالزواج، حيث أن القاعدة العامة تقول أن أكثر الزوجات بركة أكثرهن تيسيراً.

وبرز كثير من الحالات لدى الثوار، المقتنعين حتماً بالثورة قولاً وفعلاً، وظهرت الكثير من الثائرات الحرائر لتكنّ قدوة حسنة بالتيسير والتبشير بعهد اجتماعي جديد يكسر التقاليد، يقول "أحمد" وهو من أوائل الشباب الثائرين في مدينته أن زميلته بالجامعة والتي قبلت به رغم أنه لم يتخرج من كليته بعد، ويعاني من صعوبة ايجاد عمل" قالت لي أنها تريد أن أهب صداقها بالتقسيط لرعاية أيتام حتى يبلغوا سن الرشد فتعلقت بها أكثر وعلمت أنها ستكون أماً فاضلة لأطفالي ما دامت تضع نصب عينيها أطفال الآخرين الذين قضوا شهداء أو ضحايا ما يحدث في سوريا"

أخريات كنّ مجرد متصيدات للحظ الذي اعتقدنه وافراً في حالة الفوضى التي أعقبت طرد عصابة الأسد من بعض المدن والمناطق فيقول "خالد" عن تجربته "ادعت أنها تريد فقط الزواج بي لأنها وجدتني فارس أحلامها كوني انتسبت للجيش الحر ودافعت ضد الظلم ولكن يبدو أن عائلتها تعتقد أنني قد أصبت ثراء ولهذا كانت طلباتهم كأنني أمتلك مخفراً لحسابي الخاص"

على العكس تماماً من الحالة السابقة رفض الأهل تزويج ابنتهم بعد أن علموا أن المتقدم إليهم من حاملي السلاح، فقد غلب لديهم الخوف على مستقبل الفتاة واعتبروا أن اقترانها بهذا الشاب يعني إن آجلاً أو عاجلاً ستصبح ابنتهم أرملة مع تغير المعطيات في الأرض حتى لو كانت المرحلة الراهنة مرحلة مؤقتة من التقدم على قوات الأسد، فقد بات معروفاً أن عصابة الأسد باتت تستدعي كل مرتزقة العالم والقوى العالمية لمساندتها وباتت الانتصارات التي حققها الجيش الحر مجرد انتصارات تتقلب نتائج ديمومتها تبعاً لقوة التسليح التي يحصل عليه خارجياً.

رفضت السيدة "أم محمد" الفكرة من أساسها" لا يمكن أن أقبل أن تكون ابنتي أرملة حتى قبل أن تبدأ حياتها.. مستحيل ولا يوجد لديّ تفسير"

تقول إحدى السيدات التي تقدم لخطبة ابنتها أحد الشبان المنتسبين للجيش الحر وهي من الذين يناصرون الثورة" لا يمكن أن ازوج ابنتي البكر لهذا الشاب، على الرغم من ايماني أنه رفع السلاح مكرهاً ليدافع عنا، لأنني لا أستطيع أن أواجه الحزن الذي سيعتري فتاتي حين يجلبون عريسها شهيداً، قد أكون متناقضة من حيث معرفتي أن هذا الشاب يدافع بدمه عنا، ولكنني لست قوية بما فيه الكفاية حتى أكون على قدر المسؤولية التي تستطيع تحمل ابتلاء أن تكون ابنتي الفتاة الشابة أرملة في وقت ربما يكون قصيراً"

بالمقابل لدى أمهات الشباب وخصيصاً الذين حملوا السلاح اصراراً كبيراً وتحدياً كي يشاهدوا ذرية أولادهم قبل أن تخطفهم آلة الحرب التي تشنها عليها عصابة الأسد ومن يستحضرهم النظام من مرتزقة من خارج البلاد، وهذا مفهوم من حيث أن الأطفال من أصلاب الأولاد ذكوراً أو اناث، يكونون امتداداً لمن قد يغادرون هذه الحياة بدون ميعاد.

ظهر ضمن الأوضاع الحالية ترسيخ لفكر الزواج الثاني أو المتعدد ولا زال الشكل الأساس القائم عليه هو الحصول على فرصة لتجديد الشباب الضائع وقد كان قبل قيام الثورة السورية مقتصراً على المقتدرين مالياً وأصبح بعد الثورة بمتناول اليد لأولئك الذين أصبحوا في مراكز سلطوية عسكرية وانتقلوا من طور الاشكال الاجتماعي الذي كان يمارس سراً بقصد (جهل الخمسين(ليعيد بعضاً من العشب للكرم الذي بات يابساً لطور العلانية التي لا تخاف من تبعات الموضوع، طالما أن السلطة باتت بمتناول أيديهم.

يعتبر حالياً الزواج الثاني حلاً تكافلياً للمجتمع بعد الخسارات الكبيرة التي خسرها المجتمع السوري بخسارة أولاده الذكور على أثر دخول الثورة السورية بطورها المسلح وارتفاع حالات الأرامل لمستويات كبيرة، ويعتبر مثل هذا الزواج المباح، والمقيد بشروط تكاد تنطبق على الوضع الحالي في سوريا، يحتاج خروجاً من عباءة الكيد والخصومة والدعوة للقهر والأنانية وطغيان فكرة المتعة الجسدية، والتي كانت تمارس عبره الاباحة الشرعية للزواج المتعدد من حيث الفقه الديني لغالبية السكان الذين يدينون بدين الاسلام.

لا يمكن الاجابة فعلاً عن السؤال هل هناك عزوف أو امساك عن الزواج؟، ولكن السمة العامة لمن يقدمون على هذه الخطوة كانت أنهم يتزوجون كي تستمر الحياة، متحدين الموت، ولكي تعود تدريجياً ضحكات الأطفال لتسكن الشوارع وتزين برنينها الفريد غرف البيوت التي باتت باردة وكالحة مع اشتداد انحسار الفرح واغتيال الأمل بالانفراج والانتصار.

للخبز في حياة السوريين حكاية طويلة

خبز سراقب بين ضعف الجودة وعدم الاكتفاء

حسين جرود

تعاني المناطق المحررة في ريف ادلب من نقص في كمية الخبز اللازم لتغطية حاجة الأهالي، زادت الحاجة مع قدوم النازحين من ريف حلب الجنوبي والمناطق المجاورة له، وبسبب ثورة سراقب المبكرة على النظام وتحررها السريع من فقد عانت من انتقام النظام لها ومحاربته لها في رغيف خبزها.

يغطي فرن سراقب الألي حاجة مدينة سراقب وريفها من مادة الخبز، الذي ينتج أكثر من 16000 ربطة يومياً بشكل تقريبي، ويتوقف ذلك على جاهزيته وعدد ساعات التشغيل، وقدرة طاقته القصوى 24000 ربطة يومياً، مرَّ الفرن بعدد من المشاكل الفنية التي أدت لتعطّل جزئي بخطوط الإنتاج، أو لرداءة النوعية المنتجة من بعض الخطوط، ثم توقف بشكل كامل بتاريخ 1-4-2015.

بعد تحرير إدلب, ومنذ بدء حالات النزوح التي توافدت على المدينة أصبحت الحاجة ملحة لعمل الأفران الصغيرة لسد النقص في الانتاج وتلبية الطلب الكبير أيضاً، وقد ازداد عدد الافران وإنتاجها بعد توقف الفرن الرئيسي، وتنقسم هذه الأفران إلى: أفران تابعة للمجلس المحلي بمدينة سراقب و أفران خاصة و فرن تابع لجمعية الإحسان الخيرية.

وعن السؤال الملح من قبل المواطنين حول سبب ايقاف الفرن الرئيسي وعدم اصلاحه قال المهندس أحمد الخطيب رئيس المجلس المحلي في المدينة لزيتون: إن كلفة تشغيل الفرن الألي كبيرة جداً مقارنةً بالأفران الصغيرة التي تعمل حالياً.

يطالب الأهالي بدعم الخبز وتخفيض سعره، وتوفيره بكميات كافية، ما يتطلب اهتماماً خاصاً من المجلس المحلي وتامين الدعم الكافي لتخفيض سعر الربطة على المواطن، وايجاد آلية لتوزيعه بشكل يضمن الوصول المتساوي لجميع القرى والأحياء وبالسعر المحدد، عدم هدره بطرق غير صحيحة، أوتوزيعه في أماكن أخرى غير الأماكن المخصص لها.

تتلقى لجنة التموين في المجلس المحلي لمدينة سراقب الشكاوي من قبل المواطنين وتتابعها، كما تخرج اللجنة لمراقبة عمل المعتمدين والأفران بشكل دوري.

يشدِّد علي طه مدير لجنة التموين على أولوية موضوع الخبز ويرى أن له أولوية كبيرة، كونه يمثل قوت الشعب الرئيسي، وهو حاجة يومية أساسية للمواطنين.

واطلعت زيتون على بعض الشكاوى التي قدمت وتقوم اللجنة بمعالجتها منها:

ضبط بتاريخ 8/11، يتعلق بعمل فرن الحي الشرقي التابع للمجلس المحلي و وجاء في الضبط:

"وجدت دورية التموين أن الخبز غير ناضج، وتمت معالجته عن طريق استبدال بيت النار في المخبز الشرقي".

ومن المخالفات بحق المعتمدين: "خرجت الدوريات بتاريخ 8/9، فوجدوا حالات بيع خبز بالسوق، تم ضبطها ومعالجتها"

وأيضاً: "بتاريخ 8/2، تم ضبط سوء توزيع عند المعتمدين وإنذار أصحاب العلاقة."

بداية يتم تنبيه المخالف، ثم تُسحب الرخصة منه إن لم يستجب للتنبيه، وقد تم سحب الرخصة من مندوب وتحويلها لمندوب مجاور نتيجة سوء التوزيع.

و بحسب الخطيب فان اكثر الطلبات المقدمة لمكتب التموين هي طلبات المواطنين بنقل أسمائهم من معتمد إلى آخر، وهو أمر يتكرر باستمرا ما يسبب ارباك في توزيع الخبز بشكل دائم.

يقول علي طه: "تحديث قوائم الأسماء يتم كل أسبوع، بسبب قدوم النازحين، أو نقل الأسماء

بين المعتمدين أو زواج شباب."

انتقادات وشكاوى:

شكاوى المواطنين لا تتوقف فيما يتعلق بموضوع الخبز، يقول أحمد فياض وهو طالب جامعي من سراقب: "حجم الخبز صغير ومن المستحيل أن يأتي يوم الجمعة دون أن ننقطع من الخبز لأنهم في يوم الخميس (اليوم الذي يسبق العطلة) لا نحصل على الكمية التي نريدها."

ورغم جهود المجلس لضبط التوزيع إلا أن هناك نقصاً في كمية الخبز، لا سيما يوم الخميس.

فرن الاحسان الخيري التابع لجمعية الإحسان، توقف عن العمل نتيجة استهدافه بالطيران الحربي وخسر الاهالي 2000ربطة مجانية يومياً, ماساهم بازدياد الحاجة وتفاقمها.

يرى بعض المواطنين أن عدم التنسيق بين الافران الخاصة والافران الخيرية افسح المجال لاهدار كمية كبيرة كسوء التوزيع فبينما تعاني بعض الاحياء من قلة الخبز تفيض الحاجة في احياء اخرى ويذهب هذا الفائض للتجفيف ويباع كعلف للحيوانات.

يقول شاهر المحمد وهو إعلامي من سراقب: "موضوع الخبز المجاني الذي تقدمه الجمعية كان مشروعاً جيداً، ولكنه كان يحتاج الى تنظيم ودراية بالتوزيع، فليس هناك قوائم باسماء المواطنين ويمكن أن تاخذ عائلة عشر ربطات بينما تنام عائلة اخرى على الطوى، فالتوزيع لمن يطلب".

وفي هذا السياق قال المهندس أسامة الحسين رئيس لجنة العلاقات الخارجية في المجلس المحلي بسراقب ل "زيتون": الفرن الخيري تابع لمؤسسة الاحسان الخيرية، ولديهم شروط من قبل الداعمين والممولين لهم، ولا يوجد امكانية للتعاون أو التنسيق معهم .

ومع بداية كل نهار يستيقظ أهالي سراقب منتظرين قدوم سيارة التوزيع لشراء خبزهم، كالعادة يتأخر وصول الخبز وينصرف بعض الناس لعملهم ليعودوا بعد فترة ويجدوا خبزهم قد زاد سوءً كما يصف "علي عبيد" من سراقب.

فيما يشكو "أبو غازي" وهو صاحب متجر من جودة الخبز بقوله: "لايحتمل الخبز التاخير فبمجرد أن يبقى لليوم الثاني أو يتأخر توزيعه لا يصلح للأكل، عن أي جودة تتحدثون؟ كما أن الخبز يكوّم فوق بعضه في سيارات التوزيع، بلا صناديق.

ولعل أهم المشاكل التي يعاني منها عدد كبير من الناس هي أن الأسرة المكونة من ستة أشخاص فما دون تحصل يومياً على ربطة واحدة فقط من الخبز، وهو ما أكده الأستاذ علي طه، ما يفرض على بعض المطاعم اللجوء الى الخبز السياحي ذو السعر المرتفع، يقول "حسام قعدوني" وهو صاحب مطعم: "لا نستطيع الاعتماد على أفران سراقب اطلاقاً، نعتمد في عملنا على مخبز خاص من ريف حلب هو فرن شمسين بسعر 175 ل.س للربطة، حيث يأتي الموزع بشكل يومي، وعندما تنقصنا كمية في وقت ما نحضرها من المخابز الخاصة في كفر عميم، أو غيرها من القرى، فهو أكثر جودة من خبز سراقب".

تبلغ الطاقة الانتاجية للمخبز الشرقي عن الشهر التاسع 86275 ربطة، وعمل يوم -لا على التعيين- 8-10 هو 4039 ربطة، والطاقة الإنتاجية للفرن الغربي في الشهر التاسع هو 133686 ربطة، وعمل يوم –لا على التعيين- 12-10 هو 5112 ربطة، علماً أن هذه الأرقام غير ثابتة تنقص وتزيد، ويتم زيادة العمل عند قدوم النازحين الجدد.

وأضاف "الخطيب" بخصوص السعر والوزن: "تكلفة الربطة 45ل.س بشكل تقريبي، تكلفة المبيع 55ل.س، وتصل للمستهلك بسعر 60 ل.س، وهذاالسعر موحدًّ من المحافظة، فقد وحدّت المحافظة سعر الربطة، كما وحدت الوزن ب1150غرام".

وفيما يخص علاقات الأفران بالمؤسسات الأخرى، قال "إن تأمين الطحين تم عبر عقد مع جهة عامة، هي مؤسسة الحبوب، حيث أن ثلثي كمية الطحين تحسب بسعر الإغاثة 17$ للطن، وثلث من الطحين المحلي بسعر 215$ للطن، أما فيما يخص القرى والأرياف التابعة لسراقب فقد تم تسليمها حصتها من الطحين وفق نسب مئوية متوافقة مع نسبة السكان، وتركنا لكل قرية حرية اختيار الفرن الذي تريده لإنتاج خبزها، فمثلاً: قرية الترنبة تعتمد على فرن آفس وهكذا".

وحول المخاوف من توقف الدعم سألنا "أسامة الحسين":

"في حال توقّف دعم الخبز نهائياً، هل تستطيع أفران المجلس منافسة الأفران الخاصة؟ فأجابنا: "نعم، في حال توقف الدعم سيرتفع سعر الربطة إلى110 ل.س، دون التأثير على الجودة"، وأضاف: "في الأيام الخمس عشرة الماضية توقف الدعم بشكل مؤقت، لكننا حافظنا على سعر 60 ل.س ونغطي الخسائر من أرباح الخبز السابقة".

تصل خسائر المجلس المحلي في موضوع الخبز بسبب توقف الدعم حالياً لأكثر من ربع مليون ليرة يومياً بحسب الخطيب، وأمام موجات النزوح لمدينة سراقب أقر المجلس المحلي للمدينة في اجتماعه الأخير تخفيض كمية ربطة الخبز الواحدة من /12/ رغيف إلى /10/ أرغفة، وكان المجلس قد صرّح في وقت سابق من هذا الأسبوع إلى زيادة إنتاج الفرنين التابعين للمجلس المحلي للحد الأقصى لما يفوق 10 آلاف و300 ربطة.

ويتساءل الأهالي هنا، هل هذه الزيادة على حساب الوزن؟، وأمام محدودية إنتاج أفران المجلس المحلي وارتفاع أسعار الخبز في المخابز الخاصة تبرز مشكلة الخبز في سراقب في أوقات معينة.

فيما يؤكد "علي طه" أن مراقبة المعتمدين وتعاونهم في تحديد الكمية الأساسية التي يحتاجها كل مركز توزيع، وإلغاء أسماء من غيروا أماكن إقامتهم، كفيلٌ بتحقيق نوع من الاكتفاء، أو عدالة التوزيع على أقل تقدير.

موسم جديد للزيتون في ادلب ومعاناة المزارعين مستمرة

حسن الكمال

تسحرك حقاً حقول الزيتون الممتدة على مساحات شاسعة من ريف ادلب، ولاغرابة بتسميتها ادلب الخضراء، فهي الأولى في زراعة هذه الشجرة العريقة رمز المحبة والسلام والتي ماعرفت يوما السلام على هذه الأرض.

ولعل أكثر المشاهد روعة، مشهد الأهالي أثناء قطاف الزيتون، مجتمعين حول الأشجار يجنون حباتها وكلهم أمل بمحصول جيد يكفيهم معاشهم فثمار الزيتون تمثل مصدر الرزق الأساسي لسكان هذه المحافظة وقوتها الرئيسي من الزيت الذي يتفاخرون بجودته وأصالته فيسمونه ب "زيت أصلي"

ولكن ماهذه الشجرة إلا من هذه الأرض ومن أهلها، وعليها ان تتحمل ما يتحملونه، وفي خضم ماتتعرض له سورية من ألم ومعاناة نتيجةً للأوضاع المتردية في البلاد، فقد كان للزيتون من ذلك نصيب، ولم يشفع لهذه الشجرة رمزيتها فنالت حصتها من الضرر أيضاً.

عبدالرزاق كنجو مزارع من مدينة سراقب، تحدث لزيتون عن أكثر عن أبرز الصعوبات والمشاكل التي تتعلق بزراعة وقطاف الزيتون التي تواجه الفلاح هذا الموسم:

"الإنتاج هذا العام دون الوسط، وذلك لأن الأشجار قد أهملت لمدة أربع سنوات متتالية, فالفلاح لايتمكن من الذهاب إلى حقله خشية القصف الجوي من الطائرات، والقصف المدفعي من معمل القرميد ومعسكر المسطومة والمناطق العسكرية المحيطة بالمنطقة-قبل تحريرها-،هذا ناهيك عن تحطم الكثير من الأشجار نتيجة دخول الدبابات والعربات العسكرية إلى الحقول بسبب المعارك.

وتابع قائلاً :إن أشجار الزيتون حرمت عمليات التقليم الضرورية لنموها، وحرمت عملية المكافحة الدورية التي تحافظ على سلامتها نتيجة هذا الواقع بالإضافة إلى نقص الأدوية وارتفاع ثمنها, ولم تقتصر معاناتنا على هذا وحسب، بل هناك قلة في اليد العاملة بسبب موجات النزوح المستمرة، وانخفاض كبير في عدد المعاصر التي تعرض أغلبها للقصف المباشر، وماسلم منها أصبح يعتمد على المولدات الخاصة لأن الكهرباء مقطوعة بشكل كامل كماهو معلوم مايزيد أجورها وأجور النقل بسبب سعر المحروقات المرتفع".

أما سرحان الحسين من قرية الخشير المحاذية لمطار أبي الظهور العسكري فقد قال:

لقد قام جيش النظام في مطار أبي الظهور بتجريف الأراضي الزراعية في القرية وذلك قبل تحرير المطار، وعمد إلى قطع شجر الزيتون من جزوره انتقاما من سكان القرية بحجة انها تخبئ المسلحين، وهاهي الأن عبارة أرض جرداء ليس بها شجرة واحدة خالية من مظاهر الحياة.

وفي سياق هذا الواقع الزراعي المرير قال المهندس الزراعي "زياد عبيد" من المكتب المسؤول عن الفلاحين في المجلس المحلي لمدينة سراقب مؤكدا على سوء الوضع بالنسبة لأشجار الزيتون والموسم الحالي:

إن أشجار الزيتون تتطلب عناية خاصة يعرفها المزارع من تقليم ومعالجة وسقاية متكررة، ولذلك فقد انخفضت نسبة الإنتاج منذ بداية الثورة لعدم حصول كروم الزيتون على الرعاية اللازمة في ظل الظروف القاسية التي يعيشها الأهالي، وشح مياه الأمطار التي لم يتمكن المزارع من تعويضها عبر الآبار الإرتوازية لندرة الوقود وغلائه إن توفر.

كما أشار إلى موضوع التهريب الذي تتعرض له مادة زيت الزيتون إلى البلدان المجاورة وضرورة إيقافه حتى يتسنى للمواطن تأمين حاجته من الزيت بثمن أقل.

يقدر سكان المنطقة هذه الشجرة المباركة كثيرا فقد وردت في كتابهم الكريم كما كانت لهم ظلاً وارفا وملجئً في نزوحهم الطويل، آوتهم من حر الشمس وأشعلوا من حطبها نارهم في برد الشتاء، من زيتها صنعت الأمهات لأطفالهن عرائس الزيت والزعتر، وعلى جذوعها استندت ظهور الثائرين المتعبين.

ولما طالت الأيام على النازحين ذهابا وإيابا كلما جاء البلاء من الطيران، صار لكل عائلة عنوان بأحد الكروم، يتواعدون فيه مع أقاربهم ليجملوا حياتهم البائسة ويحموا عائلاتهم لبعض الوقت، وانتقلت البيوت الى الكروم شيئا فشيئا ليقترب السوري من شجرته الى حد التوحد بالحياة.

عام آخر يمر على ادلب وموسم الزيتون بلا أهازيجه المعتادة ولكن وبرغم المعاناة لايزال سكانها يثمنون هذه الشجرة المباركة ويؤكدون محبتهم لها وتعلقهم المستمر بها واصفين ثمرتها بالذهب الأخضر.

مطار كويرس العسكري تاريخه وأهميته

تمكنت قوات النظام يوم 10 تشرين الثاني من فك الحصار عن مطار كويرس العسكري والمحاصر منذ منتصف عام 2012 بعد معارك عنيفة مع تنظيم داعش بمحيط المطار وفي بلدة كويرس قرب المطار.

ورغم ضراوة المعارك التي شنت على المطار للسيطرة عليه في محيطه إلا أنها فشلت في إخراج قوات النظام منه، فبعد المحاولات المتكررة للجيش الحر منذ منتصف 2012 وحتى بداية 2014 وإحكامه الحصار التام على المطار بالإضافة إلى سيطرته على أجزاء صغيرة داخله إلا أن تنظيم داعش فشل باقتحامه رغم المحاولات المتكررة وانتهى تفجير العربات المفخخة بدون أي تقدم يذكر وحتى بالحفاظ على الأجزاء المتقدمة التي كان يسيطر عليها الجيش الحر قبله.

يقع «مطار كويرس» ضمن تجمع عسكري «موقع رسم العبود العسكري» والذي يقع شرق حلب على بعد 40 كم، ويمتد على مساحة تقدر ب 11 كم^2 ويتبع إدارياً للآمرية الجوية في وزارة الدفاع السورية.

يتكون الموقع من المطار العسكري (المعروف بمطار كويرس العسكري نسبة إلى البلدة القريبة منه) الكلية الجوية ومركز قيادة لواء دفاع جوي كما يحوي مساكن الضباط العسكرية، أما المطار العسكري فهو مكون من مدرجين عسكريين وساحة هبوط للمروحيات، بالإضافة إلى قرابة /30/ حظيرة إسمنتية، تربض ضمن المطار طائرات تدريبية /L39/ ومن نوع / MBB 223 Flamingo / وأخرى من نوع /MFI-17 Mushshak/ وبعض طائرات «ميغ 23 - 21» كما تعتبر الكلية الجوية الوحيدة في سوريا وتتكون من المعهد الجوي والمعهد الملاحي.

تأتي أهمية الموقع كونه قاعدة حصينة من الصعوبة اقتحامها ويشرف على طريق استراتيجي «حلب –الرقة» ويمكن أن يشكل نقطة تجمع لقوات الأسد بالإضافة إلى كونه مركز تدريب مهم للعساكر والوحيد للطيارين في سوريا، وزادت الأهمية له خاصة بعد تحرير مطار الجراح العسكري (مطار كشيش) بالقرب من بلدة مسكنة ومطار منغ للحوامات في شمال حلب، كما أن تعطيل الملاحة في مطار حلب الدولي ومطار النيرب العسكري في حلب أعطى للموقع أهمية إضافية.

محاولات تنظيم «الدولة الاسلامية» السيطرة على المطار

بعد سيطرة تنظيم «الدولة الاسلامية» على معظم المناطق في شرق سوريا تابع تقدمه باتجاه المنطقة المحيطة بالموقع جرت على أثرها معارك مع الجيش الحر انتهت بطرده من المنطقة وإجبار من بقي منهم على مبايعة التنظيم كلواء صقور العز والكتيبة الخضراء وذلك أواخر عام 2014.

يمثل الموقع أهمية كبيرة لتنظيم «الدولة الاسلامية» في حال سيطرتها عليه فإنه سيؤمن مناطق سيطرته من الجهة الغربية وينهي تواجد قوات النظام من تلك المنطقة، فيكتسب التنظيم مساحات كبيرة مم يخفف من وطأة المعارك في جنوب الموقع التي كانت تتقدم خلالها قوات الأسد قبل فك الحصار عنه، كما يكسب التنظيم قدرة أكبر على المناورة في المعارك القريبة من معامل الدفاع في منطقة السفيرة جنوب شرق حلب.

عدة محاولات قام بها التنظيم خلال حصاره للمطار باءت جميعها بالفشل، أبرز تلك الهجمات كانت في تموز / يوليو 2014، وأيار / مايو 2015، وفي آب/اغسطس 2015 قتل في الهجمة الأخيرة مالا يقل عن 40 ضابطاً بينهم أربعة ضباط برتب كبيرة بعد تفجير أربعة من مقاتلي التنظيم أنفسهم بعربات مفخخة بالقرب من تجمعات لمقاتلي النظام داخل الموقع.

واستطاع التنظيم إسقاط عدد من الطائرات كانت تقصف محيط الموقع (يزعم تنظيم داعش أنها وصلت ل 10 طائرات)، كما تمكن التنظيم من إسقاط طائرة مروحية من نوع /مي 25/ مضادة للدروع كانت مقلعة من المطار والتابعة الى اللواء /64/ حوامات قتالية السرب /76/ في مطار بلي في ريف دمشق، قتل نتيجة سقوطها نائب رئيس اللجنة الأمنية العليا في محافظة حلب اللواء الركن «يونس إبراهيم» وقائد سرب العقيد الطيار الركن «محمد بدر محمود»، والعقيد الطيار «عادل محمد عيسى»، إضافة إلى الرقيب الميكانيكي «محمد أسعد». وضمن محاولات التنظيم استباق محاولات قوات الأسد التقدم لفك الحصار، اشتدت وتيرة المفخخات التي أرسلها التنظيم في شهر تشرين الأول/ اكتوبر في محيط الموقع أعقبها محاولات فاشلة لاقتحامه.

وصول قوات النظام الى المطار

بدأت قوات النظام البحث بشكل جدي لفك الحصار عن الموقع وعن جنوده المحاصرين بعد تحوله إلى أولوية لدى النظام لتأمين طريق خناصر والمنطقة الصناعية (منطقة الشيخ نجار شمال شرق حلب) ولحاجته تأمين منطقة كشف رادار في شمال سوريا، فبعد سقوط مطار أبو الظهور لم يتبقى أي موقع عسكري يمتلك رادارات قادرة على كشف الشمال إلا في هذا الموقع، كما أن وصول قوات الأسد إلى تلك المنطقة سيمكنها من إعادة تفعيل حركة المطار والإقلاع منه وسيؤمن للنظام مساحة جغرافية أمنية وعسكرية يتمكن من خلالها إحكام محاصرة مدينة حلب من الشرق (حيث يقع الشق الشرقي من المدينة تحت سيطرة المعارضة والشق الغربي يسيطر عليه نظام الأسد) وسيؤمن له بنفس الوقت حماية أكبر من التنظيم شرقاً ويبعد التنظيم عن معامل الدفاع وبعض مناطق طريق خناصر الوحيد الواصل إلى الشق الغربي من مدينة حلب، كما أن سيطرته على تلك المنطقة سيمكنه من تأمين طريق آخر إلى حلب عبر الوصول إلى مطاري حلب الدولي والنيرب العسكري.

أطلقت قوات الأسد بداية معارك فك الحصار عن الموقع في منتصف شهر آب/اغسطس 2015 ولكن العمليات بدأت عملياً خلال ثلاث هجمات متتالية في شهري سبتمبر/ أيلول وأكتوبر/تشرين الأول على محاور «تل نعام والصبيحية وتل بلاط والريان» مدعومة بغطاء جوي.

انتهت جميع الهجمات بالفشل إلى أن استطاعت قوات الأسد في 15 أكتوبر/تشرين الأول من السيطرة على قرية تل نعام، حيث استغرقت هذه العملية شهراً كاملا للسيطرة على قرية واحدة.

وسيطرت أيضا على أكثر من 12 قرية منها (الجبول، الريان، الرضوانية، جديدة تل سبعين، حويجينة، الناصرية، دكوانة، حلبية، وتل بلاط، شيخ احمد، كويرس شرقي) الواقعة بين تواجد قوات النظام والموقع المحاصر، وبهذا التقدم تمكنت قوات النظام بدخول المطار يوم 10 تشرين الثاني/ نوفمبر.

تقدم النظام على هذا المحور دفع التنظيم للبحث عن معركة جانبية تمكنه من وقف التقدم للنظام فكانت معركة طريق خناصر والتي قطع فيها التنظيم طريق امداد النظام الى محافظة حلب في 23 تشرين الأول واستمرت حتى 2 تشرين الثاني تمكنت بعدها قوات النظام من استرجاع الطريق واستكمال معارك الوصول لمطار كويرس.

تجارة سرمدا ربح محتكر لتجارها

صورة انتشرت في الأونة الاخيرة لسوق للسيارات المهربة في الشمال السوري (ناشطون)

رماح الحوراني

"معك قرش حقك قرش "كلمات بسيطة نطقتها امرأة عجوز عندما وقفت في السوق عاجزة عن اقتناء أي شيء ولو كان ضروريا، فهي عبارة عامية لكن معناها جوهري لأنه يحدد قيمة الفرد من خلال وضعه المادي، فالإنسان المسيطر اقتصاديا، هو فقط من يستطيع العيش في زحمة تجار يتعاملون بالدولار غير مبالين بالفقر الخانق الذي حل بالشعب السوري بعد تدمير البنى التحتية خلال ثورة الحرية.

فقد برزت بلدة سرمدا كواجهة استثمارية تجذب التجار السوريين، رغم أنها بلدة صغيرة تابعة لناحية الدانا الواقعة في محافظة إدلب، تمتلك موقع استراتيجي مهم فهي صلة وصل بين الحدود السورية التركية، ويبلغ عدد سكانها 25 ألف نسمة.

تحررت هذه البلدة من النظام السوري في آب عام 2012 وتوجهت الأنظار إليها لتصبح نقطة تجارية حيوية بامتياز، ومركز لتجارة البضائع المتنوعة وممر للبضائع الإغاثية والتموينية، بسبب قربها من معبر باب الهوى الحدودي، فبدأت الاستثمارات بأنواعها لتجار سوريين توافدوا إليها من جميع المدن السورية.

عقب التحرير وجد مشروع (الامبيرات) المولدة الكهربائية، "حمزة" أحد تجار المولدات بالبلدة سرمدا تحدث ل "زيتون:"

قد تم إنارة 90٪من منازل القرية وشوارعها بعد انقطاع كهرباء النظام، وأقساطها موزعة على دفعتين، وجزء من مردودها يصرف للجمعيات الخيرية.

أيضا تجارة السيارات الأوربية ظهرت بشكل ملحوظ وكثيف، فغدت المعارض تشهد ازدحاما كبيرا وحركة شرائية لم تشهدها من قبل، حيث أطلق عليها سكان المنطقة "السوق الحرة".

"أحمد" تاجر للسيارات يشير أن أسعار السيارات تتراوح ما بين 4000-10000 دولار في أفضل حالاتها، فضلا عن أنها تعمل على الديزل المتوفر أكثر من البنزين وبسعر أقل، لكن هي لا تملك أي شكل قانوني يضمن للزبون حق الملكية، فتظهر السرقة كمشكلة واسعة الانتشار.

في حين انتشرت المواد الغذائية والتموينية بشكل غير اعتيادي عن الماضي فدخلت لأسواقها كونها محررة مواد لم تكن موجودة من قبل وإن وجدت بقلة كالسكر والطحين، وتركزت فيها أكبر تجمعات أسواق الجملة التي توزع على كافة المحافظات السورية بالدولار، فلم تتأثر أبدا عند قطع النظام موادا عديدة عن ريف ادلب فتجارها يستوردون كل شيء حتى الغاز والمحروقات بأسعار عالية تدر على مستثمرها أرباحا هائلة.

ناهيك عن عشرات الصرافات المتناثرة بشوارع البلدة رغم عدم وجودها من قبل بهذا الشكل، فالحاجة إليها شديدة لتصريف العمل الأجنبية خلال عملية الاستيراد.

حضرت في ساحة المستوردات المعدات والقطع الصناعية والمحركات بأنواعها نتيجة لعدم توفرها في أغلب الأحيان بأسواق النظام، "بدر" عامل في مجال الميكانيك يشرح كيفية جلي المحركات وتفتيتها لقطع صغيرة تباع كل منها على حدة، مما توجب حضور عدد كبير لمهندسين وعمال ميكانيك سواء كانوا نازحين أو حاضرين عمدا من مناطق النظام لينالوا رزقهم، والعامليين أغلبهم نازحين من ريف حماة بفعل القصف المستمر من قبل النظام على مناطقهم المحررة.

بالانتقال إلى العقارات وتعهد البناء داخل سرمدا وفي محيطها، فإنها كانت تعود بالفائدة الأكبر للتجار المستثمرين الذين يشيدون عدة أبنية ثم يبيعونها بضعف المبلغ المصروف لبنائها، حتى انهم يشترون كتلة من المحلات التجارية ويأجرونها أو يرهنوها بأجارات شهرية باهظة، ومن هنا توضح طمع البعض في المنطقة عندما استغلوا تدفق النازحين بكثرة لبلدتهم، وطلبوا أجارات ضخمة لعدة شهور لاحقة، "يامن" قاطن بالبلدة منذ ثلاث سنوات يستنكر الاستغلال هذا ويقول أنه لم يعد يحتمل أو يطاق، وكأن الأجارات تؤخذ بالمزايدة فمثلا : مستأجر يدفع شهريا 35 ألف كحد وسطي لبيت مفروش، بحال جاء من يدفع أكثر منه يتم طرده دون النظر أنه من غير مأوى.

يبقى السؤال: هل الانسان هو أثمن مافي الوجود، أم أن المال والاقتصاد أصبح الأهم، وهل أصبحت التجارة عاملا آخر يضاف الى معاناة السوريين.

أطفال ادلب بعيداً عن الحرب

إبراهيم الإسماعيل

يستيقظ بهاء بعد منتصف الليل في كل يوم على صوت حوامة تابعة لنظام الأسد تحمل براميل القتل والتدمير، وفي ليال أخرى تستفيق أمه على صوت بكائه بالرغم من خلو السماء من الطيران إلا أنه وبسبب الخوف والهلع اعتاد على الاستيقاظ من نومه بشكل فجائي ومتكرر في الليل.

يهدد الطفل السوري الذي يعيش في المناطق المحررة خطر قد يعتبره البعض أمراً عادياً ومألوفاً، ولكنه في حقيقة الأمر من أخطر الأمور التي قد تمر على الطفل، الحالة النفسية الصعبة والخوف المستمر والتي أصيب بها العديد من الأطفال ممن يبلغون عمر الثانية عشر ودون، ذلك جعلهم يعانون من مشكلة الخوف الشديد ليلاً ونهاراً، حتى وصلت لحالة من الفوبيا عند بعض الأطفال.

مركز كتاكيت في بلدة معرة حرمة في ريف ادلب الجنوبي يعمل على تقديم الرعاية النفسية للطفل بالإضافة الى تقديم الحفلات الترفيهية والنشاطات بشكل دوري ومتكرر، في خطوة من شباب ناشط لإزالة مخلفات الخوف العالقة في نفوس أطفال البلدة وتقديم ما استطاعوا من عون يضمن لهذا الطفل العيش بهدوء مثله مثل أي طفل آخر.

بدأ المركز بنشاط فردي من قبل عدد من الشبان والشابات وتم تجهيز قبو تحت الأرض من أجل زيادة الأمان بسبب خوف الأهالي من القصف المتكرر، حيث قاموا بدعوة الأهالي لإرسال اولادهم الى المركز، وبعد مدة قصيرة بلغ عدد الأطفال المداومين في المركز قرابة ال200 طفل يختلف عددهم حسب الأوضاع العسكرية والقصف في المنطقة، عندما تتزايد وتيرة القصف لا يأتي إلا القليل منهم، أما في حالات الهدوء القليلة يزيد العدد عن المئتين في بعض الأحيان.

وفي حديث أجريناه مع السيد مصطفى الإسماعيل مدير المركز، أخبرنا عن الصعوبات التي واجهتهم في مرحلة تأسيس المركز وإقناع الأهالي لإرسال أطفالهم:

" استمر العمل في تشكيل المركز قرابة الثلاثة شهور بدعم من العاملين فيه فقط، في ظل ظروف مالية صعبة وظروف محيطة صعبة جدا في ظل القصف المتكرر للبلدة وما حولها، حيث كانت مرحلة اقناع الأهالي هي الأصعب من ناحية الاستمرارية، فبدون الأطفال لن ينطلق المركز ويقدم ما خطط له"

قدمت منظمة "ميديكال" المهتمة بالعمل الانساني والطبي في الثورة السورية دعمها للمركز بعد فترة التجهيز، بالإضافة الى إشراف من قبل مؤسسة "رعاية الطفل و الأسرة" العاملة في الداخل السوري، حيث تم تأمين رواتب للمرشدين والمدرسين والمدرسات والمشرفات اللواتي يتواجدن في المركز أثناء تواجد الطلاب.

تتوزع عدة مراكز مشابهة في الريف الجنوبي لمدينة ادلب ومناطق أخرى قريبة، وتعمل على تقديم العون للطفل، كما يتم تقديم قرطاسية بشكل شهري لكل مركز، وعدد من الألعاب الخاصة بالأطفال وتجهيزات أخرى من أجل الحفلات التي تقام بشكل دوري.

النشاط الأكثر تميزاً.. حفلات الأطفال في المركز:

يعمل المشرفون على تدريب الأطفال قبل أسبوع أو أكثر من مواعيد الحفلات على مسرحيات وفقرات فكاهية وأخرى سياسية، تعرض على الحضور من أهالي الأطفال والمدعوين في البلدة، حيث تعمل هذه الفقرات على تعزيز ثقة الطفل بنفسه وتطوير مواهبه الفنية أو الغنائية أو العلمية.

تقدم الفرقة الخاصة بالفتيات رقصات متنوعة بعد انتهاء فترات التدريب، والتي تمتد لمدة طويلة أحيانا من أجل الخروج بعمل متقن وجميل يساعد الطفل على الاستمرار بموهبته ويدخل الراحة الى نفوس الأهالي ويدفع غيرهم لإرسال أطفالهم الى المركز وهو الهدف من تأسيسه.

من الأمور المهمة التي يقدمها المركز للأطفال الرعاية النفسية عن طريق إعداد المنظمة لدورات متكررة في الرعاية النفسية والإرشاد النفسي للمشرفين العاملين في المراكز المشابهة، بالإضافة الى دراسة موضوع استقدام مرشدين نفسيين مختصين الى المراكز وإعداد برنامج علاج نفسي منتظم للأطفال المصابين بحالات الهلع المتأزمة على حد قول السيد مصطفى الاسماعيل في بقية حديثه.

الدعوة الموجهة من قبل المشرفين في المركز الى المهتمين بمساعدة الطفل ورعايته النفسية أن يتم احداث عدة مراكز أخرى في مناطق آمنة نسبياً من أجل دحر هذا الخطر المحدق الذي يهدد الطفل السوري ويمكن أن يجعل حياته القادمة مضطربة ان لم تعالج بطريقة صحيحة وناجحة.

عائلة سورية هجرها الأسد.. وصمة عار على جبين الإنسانية

تدخل إلى منزلهم فتجد أربعة أطفال ممددين كل منهم في جهة، يستقبلونك بضحكات مبهمة وصراخ متقطع خفيف، على حد قول أمهم يحتفون بوجود شخص جديد يدخل إليهم، نظراتهم تنتقل معك أينما تحركت وكيفما توجهت، كأنها تنتظر شيئاً منك ولا تعلم ما هو.

يراقب الوالد ذو الخمسين عاماً أطفاله في كل يوم وهم ينظرون إليه بنظرات لا تكاد تزاح عنه مع ابتسامة مستمرة تصاحب وجوههم الشاحبة وعيونهم المتنقلة من الأب الى الأم، منتظرين وقت الطعام أو الشراب أو أي عمل آخر يجلب لهم أحداً ليحرك أجسادهم المرتمية على الفراش لساعات طويلة.

عائلة سورية مكونة من أربع أولاد وأب وأم بلغا من الكبر عتيا، أطفالهم الأربعة ولدوا بشلل كامل، مع عدم القدرة على النطق أو التعبير في التواصل، أعمارهم تتراوح بين الثانية عشر والعشرين عاماً، لم تتغير حالتهم أبداً بالرغم من عرضهم على عدد كبير من الأطباء والمختصين والمشافي.

"أبو محمد" ذو الخمسين عاماً وزوجته لم يتركا مجالاً يساعد أطفالهم الأربعة إلا وقاموا بعمله، ولكن دون جدوى، فالحالة اليائسة التي وصل إليها الأولاد زادت من الوضع سوءاً وتركتهم في حيرة تامة وعجز كبير أمام نظرات أولادهم وضحكاتهم المبهمة.

في كل صباح تدخل الأم وهي تحمل الطعام لتطعم كل ولد منهم على حدة ويساعدها الأب في تنظيفهم وتحريك أجسادهم من أجل عدم إصابتهم بتقرحات جلدية من كثرة النوم على مكان واحد من الجسد، تبديل الملابس والاستحمام والتنظيف والطعام يقومان به سويا لأولادهم منذ ولادتهم وحتى اللحظة.

تسكن العائلة في مدينة الريحانية التركية في بيت مكون من ثلاث غرف، خصص للأولاد غرفة واحدة يبقون فيها بشكل دائم دون حراك، هرب أبو محمد مع عائلته مع بداية القصف العنيف الذي تعرضت له مدينة معرة النعمان في ريف ادلب، وتنقل بين العديد من القرى المجاورة الى أن انتهى به المطاف في تركيا مع زوجته وأولاده، يعاني أبو محمد من مشكلة المال فبعمره الكبير لم يجد من يقدم له فرصة عمل تساعده على إعالة أولاده وزوجته، يعيش منتظراً بعض المساعدة في نهاية كل شهر من الجمعيات الخيرية الكافلة وبعض من السلال الغذائية خلال الشهر تعينه على الاستمرار برعاية أولاده الأربعة.

تحدث وعيون زوجته لم تتوقف عن البكاء على حال أطفالها والتعب الكبير الذي تلقاه في نهاية كل يوم، فضلاً عن القلق في بعض الليالي الذي يرافق الأولاد وصراخهم المستمر الذي يجعل النوم بعيداً عن عيونها والدمع يغسل هذا التعب بحرقة شديدة من العجز الكامل أمام صراخهم المتكرر والمبهم.

يقول أبو محمد: أتوجه بالشكر لكل المساعدين لنا في هذه المحنة ولكل من قدم المساعدة لهؤلاء الأولاد، نحن في بلد غريب ولاعمل لنا ولا مورد، هجرتنا طائرات النظام وصواريخه من بيوتنا وتركتنا في شوارع الغربة واللجوء، فالحمد لله على كل حال وفي كل وقت.

لم تنته المعاناة عند هذا الحد فقط، بل تستمر في ظل صعوبة تأمين الأدوية المطلوبة لهم وأسعارها المرتفعة وعدم توافرها بشكل مستمر، رحلته اليومية الى المستشفيات ودور الاستشفاء والصيدليات الخيرية والتركية لا تتوقف بل وتستمر بشكل يومي بحثاً عن الأدوية الخاصة بأولاده.

مُضحيات لا ضَحيّات

محار الحسن

عطوفة حنونة، بالوقت ذاته شجاعة حازمة، تلك هي المرأة السورية في زمن ثورة الحرية، فمع انطلاق هذه الثورة لم تغب قضايا المرأة السورية عن الساحة الإعلامية ولاعن لسان المثقفين والباحثين، خاصة بعد معاناتها المستمرة نتيجة الحرب القائمة منذ خمس سنوات إلى الآن.

إلا أن هذا التهويل الإعلامي والاهتمام المزيف لم يوضح الصورة الحقيقية عن دور المرأة في إعالة وطنها الصغير بيتها وبناء مجتمعها السوري خارجه، لأن هذه اللفتات عنها كانت بمعظمها تركز على معاناتها وفقرها واستغلالها من الزوج والمجتمع الذكوري على مختلف النواحي، وبهذا تغيب لواقع الإرادة الذي لا يكسر رغم كل العقبات الكبيرة التي تواجهها المرأة وتتغلب عليها بعملها وصبرها، فجدير بالذكر أن أكثر من ربع المجتمع السوري تعيله امرأة بحسب إحصائية للأمم المتحدة عام 2014.

الحرب التي دمرت البلاد وأبكت الرجال وهجرت الملايين، جعلت المرأة مضطرة لتحمل أعباء جديدة دفعتها للعمل بجميع المجالات، ولو كان ذلك العمل على حساب صحتها، فأطفالها وبيتها ووطنها يستوجبوا عليها الصمود الدائم.

"أم محمود" أربعينية من الريف الحلبي تحدثت ل "زيتون":

" إن نكباتي المتتالية بعثت في نفسي القوة والتصميم لإتمام مسيرة الحياة بعد موت زوجي حزنا على ولدينا الشهيدين في أحد المعارك ضد النظام البعثي"، وتتابع: "خسارتي المادية كبيرة أيضا بعد أن علم النظام باستشهاد أولادي عزلني من وظيفتي التربوية وحرق منزلي، كل هذه المصائب لم تثني عزيمتي في تقديم ما يلزم لأطفالي الصغار، فهم أملي وكنزي الوحيد المتبقي من هذه الدنيا".

لم تتوقف تضحيات المرأة على الدعم المعنوي لصغارها، بل تعدت حدود منزلها لتعمل خارجه بمهن لم تعاصرها من قبل، متحدية بذلك العادات والتقاليد البالية، ونظرات الناس التي تخفي ورائها تساؤلات كثيرة، فحرب أفقدتها أغلى ما تملك اضطرتها للسفر والمخاطرة بذاتها بدلا عن ما تبقى من غوالي عندها إلى مناطق النظام لاستلام الراتب الشهري لعله يسد رمق العيش قليلا.

نساء أخريات خلفت الحرب لهن زوجا أو شابا معاقا فحملن بقلوبهن حزنا شديدا وعلى عاتقهن عبئا كبيرا عند عملهن بالمجال الإغاثي، أو الإعلامي، أو الطبي، فحال "أم جهاد" العاملة كمستخدمة بإحدى مدارس الغوطة الشرقية بدمشق بدلا عن زوجها الفاقد لقدميه نتيجة سقوط قذيفة بجانبه، يفسر ما سبق.

إلا أن الحرب أرفقت التعب الجسدي بتعب أشد إيلاما في نفس المرأة هو العنف النفسي الذي تتعرض له من زوجها نتيجة تبدل الأدوار الحتمي، والاحباط النفسي للرجل لعدم قدرته على أداء واجباته بالإنفاق على عائلته، ونظرة المجتمع السلبية الموجهة إليه، مما جعله مفرطا باستخدام سلطته عند تراجع إجباري بامتيازاته داخل منزله.

في حين يحي العالم ومنظماته في الثامن من آذار لكل عام يوم المرأة العالمي، لاتزال المرأة السورية محاصرة بنيران كثيرة منها نار الحرب، ونار الفقد للأهل أو الزوج أو الأولاد، مع نار العمل والمقاومة الملحة لتأمين مستلزمات الحياة، بعد أن كانت شريكة حقيقة مع الرجل في مرحلة تعد الأصعب عليها من غيرها، فهتفت مع المتظاهرين وخرجت في تشييع جنازات الضحايا رافعة الشعارات المناهضة للنظام، موزعة المنشورات للحملات والتبرعات.

ناهيك عن تعرضها لشتى الانتهاكات على يد النظام الأسدي من قتل، اعتقال، تعذيب، اختطاف، اغتصاب ،نزوح، واجهتها بعنفوان جعل منها المرأة المتميزة المحققة لذاتها ولمجتمعها مالم يحققه بعض رجال العالم، علما أن عدد معتقلات سوريا قد تجاوز/7/ آلاف في احصائية لعام 2015 صادرة عن الشبكة السورية لحقوق الإنسان.

لكن هل حقا الإعلام بكافة وسائله، والمنظمات الدولية المتشدقة بحقوق المرأة، قد صورت حقيقة الواقع النسائي في سوريا عندما حجمت معاناتها وقدراتها بإقرانها بعدد الشهيدات السوريات البالغ /19/ ألف حسب شبكة حقوق الإنسان؟؟، أم على العكس يجب أن تكون تضحياتها اللامتناهية رمزاً للصمود والأمل في ظل نظام استبدادي؟!.

كفروما...ثورة مبكرة وواقع خدمي متردي

عبيدة العمر- زيتون

كفروما.. إحدى البلدات الجميلة في ريف ادلب الجنوبي، تبعد عن مدينة معرة النعمان كيلومتراً واحداً باتجاه الغرب، بلغ عدد سكانها أكثر من عشرين ألف نسمة، وكغيرها من بلدات ريف ادلب ثارت كفروما ضد النظام، بل وكان لها بصمة نوعية في مظاهرات معرة النعمان، احتفل أهالي كفروما بالمتظاهرين الأوائل وشجعوا أبناءهم على الثورة، لمع اسم كفروما في الحراك السلمي، وخرج أهلها ينشدون الحرية والكرامة، وينادون با سقاط النظام كباقي السوريين.

وبعد تحول الثورة عن مسارها السلمي، قدمت كفروما فلذات أكبادها، الشاب تلو الآخر في معارك الحرية، وبعد تحرير كفروما في الربع الأخير من 2012 عاشت البلدة أحوالاً صعبة، حيث كانت محاطة بعدد كبير من الحواجز التابعة للنظام، اضافة لمعسكر الحامدية الذي أذاقها وريف ادلب الويلات، ضراوة القصف من قبل قوات الأسد أجبرت ثلثي سكانها على النزوح، حاول النظام مرات عدة التقدم باتجاه البلدة، لكن عزيمة شبانها كانت أقوى من الطغيان، فلاتزال ذكريات الشهداء على أسوار الحامدية ووادي الضيف تعانق زيتونها.

في الوقت الحالي، وفي ظل انفتاح عمل المنظمات الانسانية في سوريا، لاتزال كفروما تعاني انسانياً، زيتون ألتقت الأستاذ «عبد المعين الحميّد» رئيس المجلس المحلي في البلدة، حيث وضّح معاناة بلدته حالياً بقوله:

«بلدتنا بحاجة لمساعدة كبيرة، نعاني من عدة مشاكل أهمها نقص مادة الخبز، يوجد عندنا فرن واحد حديث الصنع ويغطي عشرين بالمئة من حاجة السكان، نحن بحاجة لأفران أخرى وبحاجة لمادة الطحين التي نعاني من نقصها».

تحوي كفروما آلاف الأطفال وهم بحاجة لمدارس وبحاجة لكتب وقرطاسية، قصفت طائرات النظام مدارس كفروما وأخرجتها عن الخدمة، لكن لابد من اصلاحها وإعادة تأهيلها لتستقبل الطلاب، الحميد أكد ل «زيتون» أن وضع التعليم في البلدة سيئ بقوله: «نصف أطفال كفروما محرومون من التعليم، نحن بحاجة لمدرستين بالسرعة القصوى لتعليم أطفالنا».

يوجد في كفروما آبار مياه صالحة للشرب ولكنها متوقفة تقريباً، فمحطة المياه بحاجة إلى كلفة تشغيلية كبيرة لايقدر عليها أهل البلدة الفقراء حسب ما أفاد الحميد، فمعظم سكان كفروما يعملون بالزراعة وتربية المواشي مايعني حاجتهم لكميات كبيرة من الماء.

بين الحين والآخر تتعرض كفروما للقصف من طائرات النظام والطائرات الروسية، مايعني دماراً في البنية التحتية ووقوع اصابات بحاجة لتدخل فرق الدفاع المدني في المدن المجاورة، يقول الحميد: «كفروما بحاجة إلى مشفى يقدم الخدمات الصحية المجانية، وبحاجة لمركز للدفاع المدني لمساعدة الأهالي وقت القصف».

تحوي كفروما عوائل الشهداء الذين يقدرعددهم بأربعمئة شهيد، يقول أبو محمد وهو منشق عن قوات النظام: «وضعنا سيئ للغاية مقارنة مع وضع جيراننا، مغتربونا قليلون ولا يستطيعون تأمين كل نفقات البلدة، غير أن المنظمات الإنسانية تتسابق على مساعدة البلدات المجاورة ولا تساعدنا بالشكل المطلوب».

لم تشفع كل التضحيات التي قدمتها كفروما ولازالت تقدمها، لها بالعيش في ظروف طبيعية قدر الامكان كما جيرانها، بل حتى أن أطفالها يقارعون الجهل في ورشات العمل بسبب عدم وجود مدارس تأويهم.

الشهيد يوسف الجادر "أبو فرات"

محمد إسماعيل

ولد يوسف أحمد الجادر في مدينة جرابلس من أعمال محافظة حلب عام 1970، والده أحمد الجادر كان يعمل في نشر الحجر و بيعه، كان الأخ الثالث لإخوته البالغ عددهم ستة أشخاص، درس في مدارس جرابلس و تخرج من ثانوية أحمد سليم ملا بكالوريوس علمي ليلتحق بمعهد إعداد المدرسين (صف خاص) في مدينة حلب، لكن تركها بعد عام ليلتحق بالكلية الحربية في حمص 11-1-1990.

تخرج من الكلية الحربية في شهر كانون الأول 1993 برتبة ملازم أول، تابع عمله بالسلك العسكري حتى ارتقى إلى رتبة عقيد قائد كتيبة المدرعات في اللاذقية.

لم يكن يوسف الجادر بمعزل عن مطالب شعبه بالحرية والكرامة لذا أتى انشقاقه مبكراً في 18-7-2012 بالتعاون مع ثوار الحفة آنذاك ثم سارع بالانضمام إلى ثوار حلب "لواء التوحيد" في مدينة الباب بتاريخ 22-7-2012 وعاد بعدها إلى مسقط رأسه جرابلس، ليصبح أحد قادة اللواء مشاركا بتحرير ريف حلب، ثم الدخول إلى مدينة حلب و تحرير حيي سيف الدولة و صلاح الدين في أول دخول للجيش الحر إلى المدينة، ومن ثم كان العمل الأهم في مدينة حلب وريفها وهو تحرير مدرسة المشاة بتاريخ 13-12-2012.

حيث كان أبو فرات القائد الميداني للمعركة، وتعد مدرسة المشاة من أهم القواعد العسكرية الموجودة في مدينة حلب من حيث المساحة والموقع الاستراتيجي الفاصل بين الريف الشمالي ومدينة حلب، وقد سيطر الجيش السوري الحر على هذه النقطة العسكرية بعد أن خاض معارك ضارية ضد قوات النظام، قتل على إثرها مئات من القوات التابعة للنظام وأسر عدد كبير منهم.

استشهد العقيد يوسف الجادر بتاريخ 15-12-2012 وقبل انتهاء عملية التحرير لكامل جوار المنطقة، وعن موضوع استشهاده حدثنا ابنه أحمد يوسف الجادر أنه وفي حين كان والده في غرفة عميد كلية المدرسة وردت مكالمة على جهاز اللاسلكي (القبضة) تفيد بأن بعض عناصر الثوار يقومون بتحميل الذخيرة والأثاث في الشاحنات فرد على القبضة "اللّه لا يسامحكن"، و توجه مع ثلاثة من قادة المعركة منهم "أبو يزن وعمر البيانوني" تزامنا مع خروج رتل للنظام من معسكر التدريب الجامعي القريب لمؤارة عناصره الفارين من المعركة، إضافة لوجود عناصر هاربين من النظام من محيط المدرسة حيث حوصروا واستهدفتهم إحدى الدبابات بقذيفة أدت لاستشهاده.

يعتبر أبو فرات من القادة الاستثنائيين الملهمين للحراك الثوري في سوريا لما عرف عنه من إخلاص وتفان، وبقيت كلماته القليلة التي مررها عبر كاميرا إحدى الفضائيات دامغة في ذهن السوريين إلى اليوم، وهذا نص الكلمة:

«واللّه مزعوج، لأنو هاي الدبابات دبابتنا و هدول العناصر أخوتنا.. واللّه العظيم كلما بشوف إنسان مقتول مننا أو منهون، بزعل قسما باللّه لأ انو الأبن الحرام مستقيل كان بلدنا أفضل بلد بالعالم بس تمسكت بالكرسي يا ابن الحرام ليش؟

وتقتل بالعالم الطالعة سلمية؟ ونحن ضبّاط قاعدين وعم نقول بلكي يزوق اليوم . بلكي يزوق بكرا.

ونقعد ونفيق و تقول عصابات مسلحة و إرهابية، أي واللّه مانا إرهابية ولا كنا ارهابية».

حوار مع شاعرة المانوليا

عبد الرزاق كنجو

ولأننا نحب أن نسمي الأشياء كما نحب أن نكون عنونت الشاعرة الدمشقية "عواطف بركات" ديوانها الأول "معارج المانوليا" متبنية موقف هذه الشجرة من الجمال والبياض والقدرة على التجدد في متاهات الحياة..

عن ديوانها الأخير إلتقيناها بهذا الحديث:

- من أي مشتل جئت بهذا العنوان المغري (معارج المانوليا)؟

العطر والبياض والجمال والصعود مفردات المعنى الداخل في تكوين / معراج المانوليا / المانولياً شجرة عطرية ذات زهر أبيض تتموسق نحو السماء بزهو وعلو وأحيانا بأنانية، تعيش في ظروف خاصة من الحرارة والرطوبة وأجمل ما يميزها مقدرتها على الذود عن نفسها أمام هجمات الخنافس والحشرات التي تريد بها ضرراً، هكذا أرادت بإسم واحد جمع الجمال والقوة والإرادة ليُصار الى تشكيل عنوان يناسب رحلتي في القصيدة وضنكي في الحياة وعزيمتي التي لم تفتر للصعود نحو قمة الشعر.

- متى تبدأ القصيدة لديك؟ وكيف تقبضين على الجملة الأولى متلبسة؟

القصيدةُ لا تبدأ ولا تنتهي، القصيدةُ ماءُ العين حاضرةٌ دائما، المشاهدُ التي أعيدُ تدويرها في صناعةٍ تحويلية راقية لأعثر على لقطةٍ مكتنزة، ترتبطُ بالأنا من جهة ومن جهة أخرى بالمكان والزمان ..وبالفكرة المفتاح التي تسوقُ أمامها فيما بعد قطيعَ الحروفِ إلى لوحةِ القصيدة الحقيقية.

" -ميغ واليتزر" تكتب كي تحقق نوعا من التعديل ولتخلق من العالم المشوه عالما مثيرا.. "عواطف" لماذا يكتب؟

عواطف تكتب لتصنع فارقاً بين زمني/ قبل القصيدة وبعد القصيدة/ أخطر ما يمكن في هذا الكون مرور العمر استاتيكيا بصمت برتابة، بلا نتوءات بلا ندبات غائرة في الوقت وفي الذاكرة أكتبُ لأحصدَ المتعة من الوجع ومن الفرح، لأطهوا سمّ الشعر وترياقه، لأصنع حياة بين دفتي موت وشيك.

- الجثث، الموت، القتل، الدم، المقابر، الحس جماعية و... ماحكاية هذا القاموس اللغوي الكفكاوي؟

مادام الشعر بطريقة أو بأخرى عنصر من عناصر الثقافة في مجتمع ما فبالتأكيد سينعكس عليه هموم المجتمع المتعاظمة أياً كان نوعها ومسمياتها، ولا أحد يخفى عليه ما يحدث في الوطن من اقتتال وحروب وموت ودم وضحايا، لذلك تجدني أفرز في قصائدي مفرزات البيئة ذاتها التي أعيش فيها محاطة بذات الظروف.

- قصائدك أحيانا صغيرة كالطلقة، وأحيانا أخرى بنفس كالطويل، فأين يجدك القارئ؟

القصيدة الفعل ورد الفعل، وعلى أكتافها كثيرا ما أرمي إرهاقي وإحباطي، لذلك أراني أكثر غبطة في الطويل منها وأكثر ارتياحا، ذاك أني كلما اتسع صدر القصيدة كلما بثثت شكواي أكثر وكلما أصبحتُ أكثر رشاقة بلا أفكار حبيسة تريدُ الهرب من جسدي الثقيل ومن روحي المتعبة.

- ما دور القصيدة في زمن الصورة وفقدان الكلمة لقوتها الإعلامية لفائدة الشيء المرئي؟

القصيدة أشبه بالثروات الباطنية في باطن الأرض هي ذخرٌ للثقافة المجتمعية، مهما تحول عنها الجمهور لصالح المتعة بالمرئي إلا أنه سيعود يوماً ومن خلال طبقته الواعية المثقفة بالجمال للاستعانة بالقصيدة لمتابعة فتح قنوات أخرى في الإبداع، القصيدة ذهب عتيق وكائن سرمدي لا ينتهي ابدا.

- لكل مبدع عاداته الكتابية، بلزاك يضع أمامه دلوا من القهوة، بالمناسبة هل من طقوس لـ "عواطف" أثناء خلق القصيدة؟

أكثر الطقوس الحاضرة قبيل الكتابة/ الفوضى/، تدافعُ وجوهٍ للخروج من رأسي وصخب أجنة حروف للقفز خارجا من رحم المعاناة تأتي الكتابة لترتبني وغالبا أحضّر الموسيقا والعطر، لكن هناك مخاض قسري تأتي الكتابة كقدح وميض لا يحتاج إلى مقدمات سوى النزق والشعور العالي بالمحيط الضاغط على الروح.

- مراياك متعددة في قصائدك، فأي مرآة ترتاح لها ملامح مجازاتك واستعاراتك؟

مرآة الأرض والوطن والطبيعة أنا عاشقة للتراب وللمطر وللبحر وللغابات، أعشق الماء والألوان وأميل دائما لصناعة لوحات درامية تعتمد على مفارقات لونية في معظم قصائدي.

- ترسمين مساراً مبكراً للموسيقى، هل هو محاولة جديدة للهرب من شبح الحرب؟

الموسيقى أنين الوجدان، صوت وصورة الحواس بطريقةٍ ما، الموسيقى المساحةُ الخضراء الفاصلة بين تمام الموتِ ومركز الحياة، أحيانا ثمَة وعاء شاسعَ ويتسع فيه الفضاء للسرد، وقد تتبدد حتى الشعرنة؟

قد يتحول الشاعرُ إلى ساردٍ عندما يتوه في القبض على الصورة الشعرية المنشودَة فتراهُ يدور في تفاصيل باحثا عنها قد تفسدُ نكهةَ الشعر، وهذا لا يحدث دائما، وقد يحدث لأن الكمال شيءٌ وهمي لا يبلغهُ بشرٌ مهما حاول.

- ما قصة هذا الغياب الذي يسكن قصائدك؟ وما الذي يعنيه؟

الغياب حضورٌ في مكان آخر، هو مادةٌ صراعي مع الواقع اللامكتمل، بل هو يبدو أحياناً مسمار جحا الذي أعلق عليه خيباتي ورغبتي في الانفلات نحو المطلق.

- تبالغ "عواطف" مبالغة جامحة في وصف تجربة الحب أحد أسطرتها ما تعليقك؟

الحب هو المبرر الحقيقي للوجود على هذه الأرض بمنظوري، وما بني عليه من حوادث مفصلية أثرت في مسار البشرية جمعاء.

- هل القصائدُ سواسية في وجدان "عواطف"؟ أم أنها من ذات الخصوصية؟

القصائد جميعها أبناء القلب، لكن لكلٍ نكهتها حسب الظرف العاطفي الذي أدى إليها، جميع القصائد أزهارٌ تتفتح حالما تسقط على الورق.

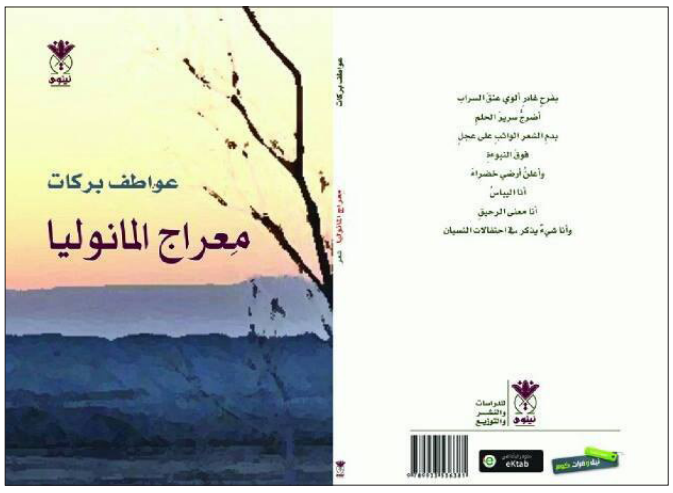

(بفرحٍ غامرٍ ألوي عنقَ السراب

أضرجُ سريرَ الحلمِ

بدمِ الشعر الواثبِ على عجلٍ

فوقَ النبوءةِ وأعلنُ أرضي خضراءَ

أنا اليباس.. أنا معنى الرحيق

وأنا شيء يذكر في احتفالات النسيان).

المُخبر يُقيّم الجمهور

بشّار فستق

تلك الكلمة الإشكاليّة، لازمة التلقّي، العموميّة، مع ضرورة تخصيصها وتحديدها، الحسّاسة لدرجة اعتبار ردّة الفعل الراجعة عنها مقياساً لنجاح العمل الفنّيّ غالباً. هي الذريعة عند من يهبط بمستوى الخطاب، أو يباشر بلا تلميح، قائلاً: "الجمهور عاوز كده"! وكم من فلم أو عرض مسرحيّ أو حتّى موجة فنّيّة أراد أصحابهم إخفاء الأسباب الكامنة وراء انحطاط منتَجهم، فأطلقوا مقولات مثل: "الناس العاديّون لا يفهمون هذا" محمِّلين الجمهور مسؤوليّة سوء التوصيل الفنّيّ!

ففي نقاش حول تغيير (إعداد) لغة مسرحيّة "عطيل يعود" لـ "كازنتزاكس" دافع مدير مسرح حلب القومي "جوزيف ناشف" عن عمليّة تحويل حوار المسرحيّة إلى اللهجة العامّيّة الحلبيّة، مدّعياً أنّ: هذا أسهل لـ (تفهيم) المتفرّجين. فاعترض المخرج باعتبار أنّ مستويات لغة الحوار وطبيعتها تحدّدها المسرحيّة ذاتها بحسب الموضوع والشخصيّات و...، وليس من خلال تقديرات الإدارة. هنا كان خطأ المخرج، فقد نسي أنّ ما يسمّى إعداد النصّ يعود على المُعدّ (وهو المدير) بمبلغ يفوق المكافأة المخصّصة للإخراج، وأنّ النصّ وحتّى العرض لا يعنيان شيئاً بالنسبة للإدارة – طبعاً بشرط ألّا يمسّا مقدّسات النظام – بقدر ما يشكّل لها مصدراً لنهب المال بأسماء مختلفة مثل: إعداد أو ديكور أو ملابس...

لم ينته الخلاف عند هذا الحدّ، فقد أصرّ المخرج على إبقاء الفصحى كلغة للحوار، وجادل متسائلاً: كيف يفهم حتّى الأطفال لغة أفلام الكرتون الفصيحة!؟ وأضاف أنّ مسألة التوصيل هي مسؤوليّته أوّلاً وأخيراً. فأفصح المدير "ناشف" عن رؤيته بوضوح قائلاً: "أنت ما عم تفهم... هادا شعب جحش"!!!.

يُعتبر المدراء في المجالات الثقافيّة أداة هامّة بيد رجال الأمن، فهم يمارسون فرض مقولات السلطة وتقديم التقارير لمعاقبة الذين لا يرضخون لها، في مقابل ذلك يُترك لهم نهب المال العامّ والخاصّ؛ من هنا يمكننا أن نأخذ بآرائهم كصورة صادقة عن نظرة وآليّة سير العمل القمعيّ في الأجهزة كافّة، وربّما يفسّر هذا أيضاً بقاء مثل هؤلاء المدراء عشرات السنوات في مناصبهم.

ومن المعلوم أنّ المناصب النقابيّة يتمّ تعيينها، كما المدراء، من قبل الأجهزة الأمنيّة كذلك. فأمثال "ع. ع. عرسان" و "أسعد فضّة" يشكّلون عبر خلودهم على قمّة الإدارات مصدر تيئيس وطرد للمبدع والإبداع، إضافة إلى دورهم المخابراتيّ المباشر الذي يستفحل مع مرور الوقت، فلا تبدو غريبة نظرتهم إلى الشعب السوريّ، وعدم اعتباره كائناً بشريّاً في الأصل.

ولكلّ ذلك يبدو مضحكاً الحديث عن: دراسة طبيعة جمهور الأعمال الفنّيّة، أو البحث في أسباب تقلّص أعداد متفرّجي المسرح، أو معالجة ظاهرة اضمحلال القراءة في المجتمع. فالمسؤولون الذين يفترض أنّهم معنيّون بهكذا أمور، يعملون لدى الأجهزة الأمنيّة التي تقتل الشعب السوريّ؛ والقضيّة ليست من باب التشبيه، فماذا يعني أن يوضع أحد أزلام الأمن "نضال الصالح" رئيساً لاتّحاد الكتّاب؟ أليس هذا استمراراً، بل ونضجاً في الإجرام؟!

أبو خليل القباني

1833 - 1903

رائد المسرح الغنائيّ العربيّ، هو أحمد أبو خليل آقبيق، ولد في دمشق لأسرة دمشقيّة عريقة.

قدّم القبّاني أوّل عرض مسرحيّ خاصّ به في عام 1871 وهي مسرحيّة "الشيخ وضّاح ومصباح وقوت الأرواح" ولاقت استحسان الناس وإقبالاً كبيراً، وفي عام 1879 أسّس أبوخليل القبّاني فرقته المسرحيّة وعرض نحو 40 عرضاً غنائيّاً وتمثيليّاً.

سافر إلى مصر حيث أدّى مسرحيّة "أنيس الجليس" عام 1884 فازداد شهرة، وتتلمذ على يديه الكثير من رواد المسرح.

عاد إلى دمشق متابعاً مسيرته في ترسيخ أسس المسرح العربيّ وقدّم العديد من مسرحيّاته، وفي سنواته الأخيرة دون أبو خليل القبّاني مذكراته.

صدر حديثاً عن دار أرواد للطباعة والنشر ديوان الشاعر السوريّ عبّود سمعو بعنوان: البريد التاسع. من أجوائه:

أفتعل الضجيج لأنجو منّي. أنا المحسوب على شلّة الهادئين. أملأ كوبي بالشاي البارد. أنفخ الغبار عن لوحة المفاتيح. لأكتبَ رائحة الزعتر الحلبيّ. في الشارع المؤدّي إلى ساحة باب الفرج. قبل أن تستنشقها. عين القنّاص. قبل أن تغمضها. فأعود إليّ.

حين قَتَلنا تشرين

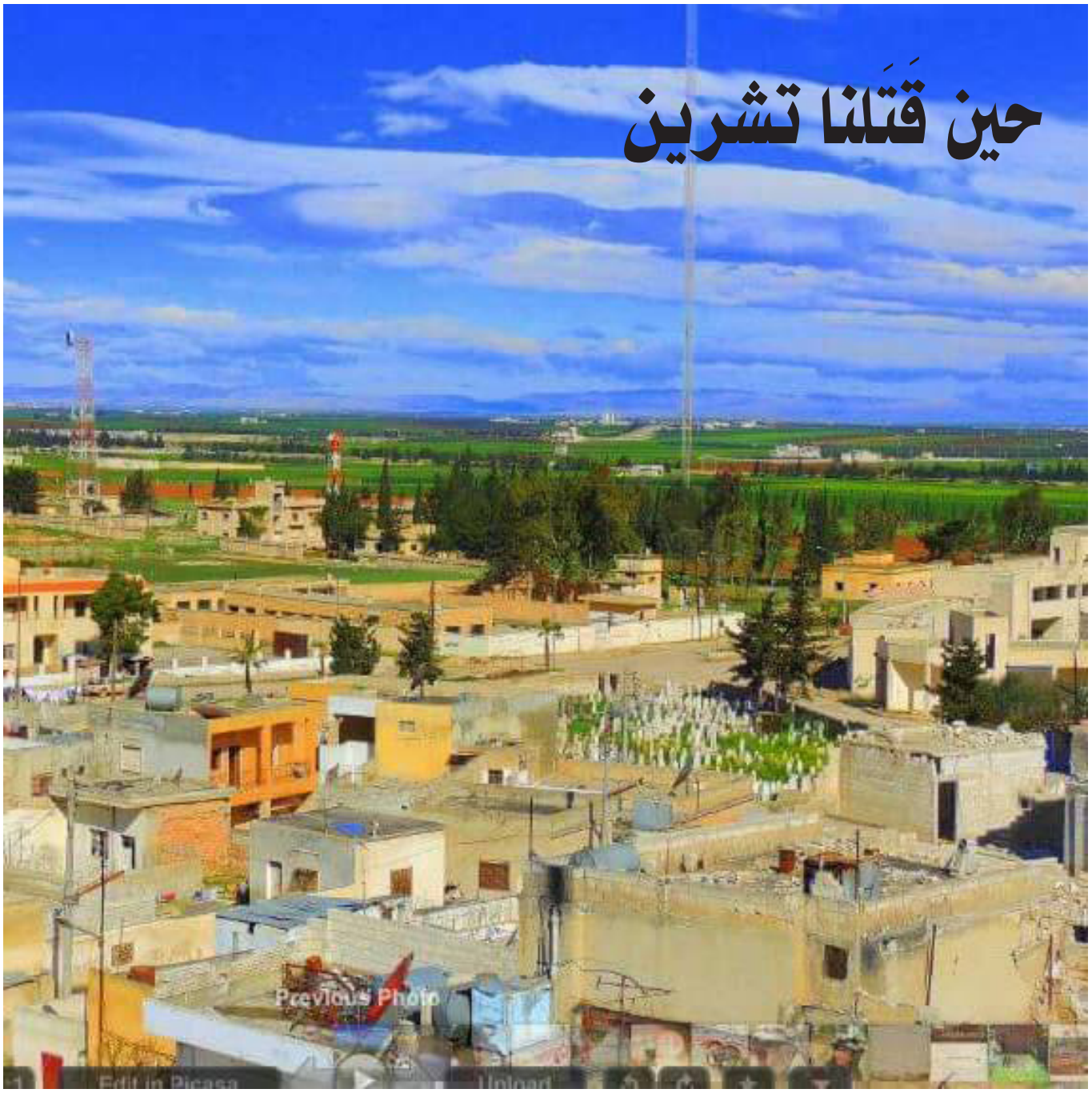

لـن أقف كثيراً هنـا، صوت القبـور يرعبني، ولطالمـا رأيت أرواحاً هاربة في ليالي الشتاء، هناك في «سراقب» حيث لا مجال لأن تكون وحيـداً، يحاصـرك الحب والألفة مـن كل جانب، أرواح تكـره الوحدة والبـرد، فتتـرك مثواها الأخيـر، طمعاً بذرة دفء أو لحـن موال يعيد الصفاء لكل شيء .

أعـرف أن النعش بـارد، وأن النعش فراق أبدي للدفء، المشـيعون على اختلاف هتافهم وانشـادهم وشـجوهم، لا يعرفون شيئاً سوى النحيـب، ولطالما ظنـوا بأنهم كلما شـيعوا الميت بحـزنٍ أكثر كان سعيداً أكثر .

لا جنازات صامتة في بلادنا، ولا ميت ينتحب على حامليه .

أنـا لم أعد أعرف ما سـيحدث للـروح بعد القبر، ولكننـي أعرف أن الروح في ليال مقمرة، تعود الى مكامن الذاكرة وزوايا الحنين، تعود بغتةً بلا صوتٍ، وكأنها تقول «هذا صمت اعتدته فاعتادوا عليه»

فـي كل مقابـر الأرض القبـور بشـاهدات، لوحات للاسـم ولمآثر الموتى، شـجيرات صغيرة وكبيرة تلقـي بظل حزين في كل مقبرة، نباتات تخرج من بين الحجارة تروي حكايات الرّاحلين ورحلتهم الأخير قبـل الامتزاج مع التـراب، وحدها قلوب الباقين فوق القبر شـاهدات تتحرك .

كان شـهر انكسـارات ل «سـراقب»، تلـك الأرض التي لـم تعرف راحةً منذ خمس سـنوات، تقدم قتلاها بصمت، تترك أمهات يسقين الأرض بالدمـوع التي امتزجت بدم الراحلين فـي رحلة متكررة لآلة الموت فوق سمائها، أنا خسرت «أحمدا» حياتي.

لا أعـرف مـن أين تبـدأ حكايتـي، لكنني أعـرف أنها بـدأت معهم، كثيـرون من يحملون اسـم «أحمد» في هذه الحيـاة، ولكن «أحمدا» قصتي كانوا الأقدر على حمل حزن الكون كله والقائه في القلب .

لروح : محمد ميلاد العبد للّه

وأحمد شواف كفرنطوني